الدليل الخامس

صفات المسيح الإلهية

من بين عشرات الأدلة القاطعة على ألوهية السيد المسيح له المجد تبـــرز صفاته الإلهية. وعندما نقول "صفات المسيح الإلهية" فنحن نقصد بذلك أن السيد المسيح له ذات صفات الله.

والمقصود هنا أن صفات الله وحده، التي لا يمكن أن تنسب لمخلوق سواء أكان ملاكاً أو إنساناً هي نفسها صفات المسيح. ولذلك فنحـــن نؤمن بـــأن الســـيد المسيح هو الله.

والكتاب المقدس يعلن بـــكل وضوح هذه الحقيقـــة، ويؤكد أهميتها العظمى، إلى درجة اعتبارها ضرورية للإيمان، وعليها يتوقف خلاص الإنسان.

وصفات المسيح الإلهية هي:

١- الأزلية والأبدية، أو الوجود في كل زمان.

٢- الوجود في كل مكان.

٣- العلم بكل شئ.

٤- القدرة على كل شئ.

٥- القداسة الكاملة والعصمة من الخطأ.

٦- الحياة الذاتية.

٧- عدم التغير.

٨- الكمال المطلق في جميع الصفات والفضائل.

٩- الحلول في قلوب المؤمنين به.

١٠- المساواة للآب والوحدة معه.

وفيما يلي نتحدث بإيجاز عن كل صفة من هذه الصفات مؤيدة بالأمثلة والآيات.

الفصل الأول

الأزلية والأبدية أو الوجود فى كل زمان

لا شك في أن الله موجود فى كل زمان فهو أزلي وأبدي، أي لا بداية له ولا نهاية، فهو الموجود في كل زمان، ويُعبّر عن هذا لاهوتياً بالقـــول أنه "فوق الزمان" والمفروض الوجود ولا يخلو منه زمن. وصفة الأزلية بـــالذات، لا يمكن أن تنسب لغير الله وحده، ولا يجوز نسبتها لمخلوق، لأن المخلوق قبـــل أن يُخلق لم يكن موجوداً. والسيد المسيح هو الشخص الوحيد الذي يتصف بالأزلية وبالأبدية باعتباره الإله المتجسد "وكلمة الله وروحه". وقـــد أعلن لنا الكتاب المقـــدس هذه الحقيقة فى العهدين القديم والجديد ومن أمثلة ذلك ما جاء في الآيات التالية:

١) في نفس الآية التي تحدد مكان مولد المسيح بالجسد في بلدة بيت لحـــم، يعلن الوحي الإلهي أنه كان موجوداً قبل أن يكون هناك زمن وآن "**مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل**" (ميخا٥:٢؛ مت٢:٦).

٢) يتحدث الوحي بلسان المسيح في نبوات وأمثال سليمان الحـــكيم قـــائلاً: "**منذ الأزل مُسحت**.... قبل صنع الأرض والبحر والبراري والجبال". (أم ٨:٢٢).

٣) ويقول أيضاً عنه في نبوات اشـــعياء النبـــي: "**ومنذ وجوده أنا هناك**، والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (اشعياء٤٨:١٦). أى منذ وجود الله الآب أنا هناك والمتكلم هنا هو الابن "والآن" أى فى زمن التجســـد لصنع الخلاص والفداء قـــد أرسله الآب والروح القدس إلى الأرض.

٤) وقال السيد المسيح لليهود: "**قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن**" (يوحـــنا٨:٥٨). مع أن إبراهيم عاش قبل ميلاد المسيح من العذراء بنحو ٢٠٠٠ ألفي عام!!

٥) وقال له المجد أيضاً: "**أنا هو الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية**" (رؤيا١٨،١٧،١١،١:٨ قارن ذات الوصف الذي قاله الله عن نفسه في اشعياء ٤٤:٦)، ومعروف أنه لا يوجد حرف قبل الألف ولا يوجد شئ بعد الياء.

٦) وقال المسيح كذلك: "والآن مجدني أيها الآب عند ذاتك **بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.. لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم**" (يوحنا ١٧: ٥، ٢٤).

٧) "**المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه**" (عب٩: ١٤).

٨) وعن أبدية المسيح قال عنه بالنبوة اشعياء النبي: "وتكون الرئاسة على كتفه ويدعىَ اسمه عجيباً مشيراً **إلها قديراً أباً أبدياً** رئيس السلام" (اشعياء٩: ٦).

٩) "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب١٣: ٨).

١٠) "**وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت٢٨: ٢).

من هذه الآيات يتضح أن السيد المسيح موجود في كل زمان، منذ الأزل وإلى الأبد، ويعبّر اللاهوتيون عن ذلك بالقول أنه الموجود فوق الزمان، وأنه الواجب الوجود في كل زمان، وهذه هي أولى الصفات الإلهية التي لا يتصف بها أحد آخر غير الله.

ولهذا تصلِّى الكنيسة منذ القرون الأُولى للمسيحية بقداس القديس أغريغوريوس الناطق بالإلهيات والموجه إلى المسيح ابن الله ويبدأ بالقول: "أيها الكائن الذى كان، الدائمُ إلى الأبد، الذاتى والمساوى والجليس، والخالق الشريكُ مع الآب..". إلى أن يقول: "أنت الكائن فى كل زمان، أتيتَ إلينا على الأرض، أتيت إلى بطن العذراء..." ألخ.

الفصل الثاني

صفة الوجود في كل مكان

من المتفق عليه في جميع الأديان أن الله موجود، ليس فقط في كل زمان، بل وفي كل مكان أيضاً. وهذه الصفة الإلهية التي يستحيل أن تتوفر في مخلوق (لأن المخلوق لا يستطيع التواجد في كل مكان، بل ولا حتى في مكانين اثنين في وقت واحد) قد توافرت في شخص المسيح العجيب على النحو الذي يعلنه الكتاب المقدس كما يتضح مما يأتي:

١) قال السيد المسيح: "ليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء. **ابن الإنسان الذي هو في السماء**" (يوحنا ٣:١٣ ؛ ١٦:٢٨). ولاحظ أنه يتكلم بصيغة الحاضر: فيقول وهو على الأرض، أنه في السماء، أي أنه موجود في السماء وعلى الأرض في نفس الوقت.

٢) وقال المسيح له المجد أيضاً: "**لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم**" (متى١٨:٢٠). ومعنى هذا أنه موجود فى ملايين الكنائس والاجتماعات وبيوت المؤمنين باسمه فى نفس الوقت فى كل أنحاء العالم.

٣) وقال لرسله الأطهار: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، **وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (متى٢٨:١٩) وهذه الآية الكريمة تبين أنه يكون معهم ومع خلفائهم من بعدهم في جميع الأمم والأماكن فى كل الأيام والأزمان إلى انقضاءِ الدهرِ وانتهاء العالم.

٤) "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً **ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا**" (متى١:٢٣؛ اشعياء٧:١٤). إذن فالمسيح ابن مريم العذراء هو **عمانوئيل**

الذي معنى اسمه الله معنا في كل زمان ومكان.

٥) "فقال لهم يسوع أنتم من أسفل **أما أنا فمن فوق.** أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم. ولذلك قلت لكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم" (يو ٨: ٢٣).

يخلص من ذلك أن الرب يسوع المسيح موجود في كل مكان، في السماء والأرض، في كل وقت، حتى وهو في الجسد. فإن الجسد لم يحد لاهوته المالئ الكل، لأنه على حد تعبير قانون الإيمان هو (نور من نور، وإله حق من إله حق).

لقد لُقِّبَ المسيح بأنه "شمس البر"، ولما كانت الشمس تدخل كل مكان فكم وكم يكون وجود خالق الشمس فى كل مكان أيضاً وبصورة أقوى وأعظم.

الفصل الثالث

العلم بكل شئ

أن صفة العلم بكل شئ لا يمكن أن تنسب إلى مخلوق، وإنما لله الخالق وحده. فليس غير الله يعلم كل شئ عن الماضى والحاضر والمستقبل، يعرف الأسرار والأفكار والنوايا والخفايا والخبايا. فيقول الكتاب عن الله: "**لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر**" (١مل٨: ٣٩) كما يقول: "**فاحص القلوب والكُلى هو الله البار**" (مز ٧: ٩). أنه يعرف كل شئ عن كل خلائقه المنظورة وغير المنظورة.

المسيح العالم بكل شئ:

هذه الصفة الإلهية يتمتع بها السيد المسيح له المجد كما يثبت من شهادته عن نفسه ومن أعماله ومعجزاته وشهادة الرسل والكتاب المقدس عنه.. (بل وشهادة قرآن المسلمين عنه).

أولاً- شهادة المسيح:

قال الرب يسوع المسيح: "**فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب وسأُعطى كل واحد منكم بحسب أعماله**" (رؤ ٢: ٢٣). وقد أبتدأ له المجد جميع رسائله السبع إلى أساقفة هذه الكنائس بقوله: "أنا عارف أعمالك" (رؤ ٢:٢، ٩، ١٣، ١٩؛ ٣:١، ٨، ١٥) وكان يخبر تلاميذه مراراً بأشياء مستقبلية أو أشياء حدثت توا فى بلاد أخرى مثل موت لعازر ويُعقّب بقوله قد أخبرتكم بهذا حتى إذا كان تؤمنون إنى أنا هو (يو ١١: ١٤، ١٥؛ ١٣: ١٩)

ثانياً- قراءة أفكار الناس:

عندما غفر المسيح للمفلوج خطاياه قال الكتبة فى أنفسهم هذا يجدف "فعلم يسوع

أفكارهم وقال لهم لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم. أيهما أيسر ...." (مر ٢: ٦-٨؛ مت٩: ٣،٤؛ لو٥: ٢١،٢٢).

وفى حادثة المرأة الخاطئة التى غسلت قدمى المسيح بدموعها يقول الإنجيل: "فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلاً لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه وما حالها، أنها خاطئة. فأجاب يسوع وقال له..." ورد على أفكاره "وما تكلم به فى نفسه" (لو٧: ٣٩، ٤٠).

وما أكثر الأمثلة المشابهة فى هذه الشواهد (يو٦: ٧،٨؛ مر١١: ١٦، ١٧؛ مت١٦: ٨؛ مت١٢: ٢٤، ٢٥؛ لو ١١: ١٧؛ لو٦: ٧-٩؛ لو٩: ٤٦، ٤٧).

ثالثاً- معرفة المسيح بأسرار الناس وماضيها:

لما قابل السيد المسيح المرأة السامرية لأول مرة أخبرها بأسرارها وماضى حياتها وقال لها: "**حسناً قلت ليس لى زوج لأنه كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس زوجك**"! فذهلت المرأة وقالت: "يا سيد أرى أنك نبى" وأضافت "أعلم أن مسيا يأتى ومتى جاء **يخبرنا بكل شئ**. فأجاب يسوع وقال لها: "أنا الذى أُكلمك هو" (يو٤: ١٦-٢٦).

رابعاً- معرفة المسيح بأسرار الطبيعة والبحار والأسماك:

سأل جباة ضريبة الهيكل بطرس "أما يوفى معلمكم الدرهمين"؟ ورد المسيح على بطرس قبل أن يخبره بالمطلوب وقال له: "اذهب إلى البحر وألقِ صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك" (مت١٧: ٢٤-٢٧)! فمن ذا الذى يمكن أن يعرف السمكة التى ابتلعت العُملة ومكانها فى البحر وعبورها بقرب صنارة بطرس عند وصوله واصطياد صنارته لها، إلاَّ الله وحده؟!

خامساً- معرفة المسيح الفورية بما يحدث فى بلاد أخرى:

أخبر المسيح تلاميذه بموت لعازر فور وفاته وكان لعازر فى بيت عنيا بينما كان المسيح وتلاميذه فى بلد أخرى تبعد عنها سفر يومين (يو١١: ١-١٥).

سادساً- معرفة المسيح بالمستقبل:

تنبأ السيد المسيح عن انكار بطرس له ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين (مر ١٤: ٣٠؛ يو ١٣: ٣٨)، وأيضاً تنبأ عن موت بطرس مصلوباً (يو ٢١: ١٨، ١٩) وتنبأ أيضاً عن شك توما وباقى التلاميذ (مت ٢٦: ٣١) كما تنبأ عن خيانة يهوذا (يو ١٣: ١٨-٢٨)، وتنبأ له المجد عن سقوط مدن كفر ناحوم وصور وصيداء وعن خراب أورشليم وعن العلامات التى تسبق المجئ الثانى ونهاية العالم (مت ٢٤؛ مر ١٣).

سابعاً- شهادة الرسل عنه:

قال له بطرس: "**يا رب أنت تعلم كل شئ**" (يو ٢١: ١٧). وقال عنه يوحنا: "**فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه**" (يو ١٨: ٤) ووصفه فى الرؤيا: "وعيناه كلهيب نار" (رؤ ١: ١٤) كما وصفه بأن "له سبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض" (رؤ ٥: ٦) والمقصود بذلك أنه يرى ويعلم بكل شئ وأنه هو "الكامل المعرفة" (أى ٣٧: ١٦).

ثامناً- المسيح هو ديان الأحياء والأموات:

ذكر الكتاب المقدس فى مواضع لا حصر لها أن السيد المسيح هو الذى سيدين العالم فى اليوم الأخير - وهذا سوف نتحدث عنه بالتفصيل حين نصل إلى أعمال المسيح الإلهية. ولكن الذى يعنينا الآن هو أن ديان البشر من بدء الخليقة إلى نهايتها لابد أن يعلم بظروف حياة وأسرار وأسماء وأعمال وأقوال وأفكار ونيات جميع البشر وهذا لا يمكن أن يكون إلاّ لله وحده مما يثبت أن المسيح هو الله. فقد قال الرب يسوع المسيح: "**أن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد بحسب عمله**" (مت ١٦: ٢٧) أنظر أيضا (مت ٢٥: ٣١-٤٦؛ ١٣: ٤٢، ٤١؛ رؤ ٢٢: ١٣، ١٤). وقال أيضاً: "**الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن**" (يو ٥: ٢٢). ويقول الرسول بولس: "لأننا لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع

خيراً كان أم شراً" (٢كو٥: ١٠) ولذلك بدأ له المجد حديثه مع أساقفة الكنائس السبع فى سفر الرؤيا بقوله: "أنا عارف أعمالك.." (رؤ٢: ٢،٩،١٣، ١٩؛ رؤ٣: ١، ٨، ١٥).

تاسعاً- علمه غير المحدود:

"الذى يحصى عدد الكواكب ويدعوها بأسماء" وأن "جميع شعور رؤوسكم محصاة" (مت١٠: ٣٠؛ مز١٤٧: ٤).

عاشراً- اعتراف القرآن له بهذه الصفة الإلهية:

بالرغم من أن قرآن أخوتنا المسلمين قد قصر علم الغيب على الله وحده دون سواه إلاَّ أنه قال بلسان المسيح: "**وأُنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم أن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**" (سورة آل عمران: ٤٩).

من كل ما سبق يبين أن المسيح العالم بكل شئ هو الله نفسه تبارك اسمه، لأن الله لا يُعطى صفاته وأعماله الإلهية الكاملة غير المحدودة للبشر. وإنما المسيح هو كلمة الله وابنه وروحه وعقله وحكمته الذى ظهر فى التجسد فى هيئة بشرية ليقودنا إلى معرفة أفضل وأكمل بالله ولصنع فدائنا وخلاصنا واستردادنا للحياة الأبدية.

الفصل الرابع

القدرة على كل شئ

أن صفة القدرة على كل شئ هى صفة إلهية لا يمكن أن يتَّصف بها مخلوق ملاكاً كان أم إنسان، وإنما الله وحده هو القـــادر على كل شـــئ. ولما كانت هذا الصفة ثابتة للسيد المسيح كما سيبين من الآتى، فأن ذلك يدل على أن المسيح هو الله.

ويستدل على قدرة المسيح على كل شئ من:

(١) أقواله.

(٢) وأعماله.

(٣) شهادة البشر والشياطين.

(٤) شهادة العهد القديم (اليهودية).

(٥) شهادة القرآن (الإسلام).

أولاً – أقوال المسيح تدل على قدرته على كل شئ:

أعلن الرب يسوع فى أكثر من مناسبة أنه قادر على كل شئ كما فى قوله: "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى، **القـــادر على كل شئ**" (رؤ ١: ٨). وكما فى قوله: "**دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض**" (مت٢٨:١٨). وكذلك فى أقواله: "لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا" (مر ٢: ١٠) وأن "ابن الإنسان هو رب السبـــت" (مت١٢:٨)، "**السماء والأرض تزولان وكلامى لا يزول**" (مت٢٤:٣٥)، وقوله عن تلميذه يوحنا الحبيب "إن كنت أشاء أن يبقى (حـــيًا) حـــتى أجيء فماذا لك" (يو ٢١: ٢٢)، ومثل قـــــــوله للص التائب "**اليوم تكون معى فى الفردوس**" (لو٢٣:٤٣). وأيضاً فى قوله: "تأتى ساعة **حين يسمع الذين فى القبـــور صوت ابن الله** فيقوم الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا الســـيئات إلى قيامة الدينونة" (يو٥:٢٨). وأيضا من إعلان المسيح عن **ســـلطانه فى إرســـال**

ملائكته ليجمعوا مختاريه يوم مجيئه ليدين العالم (مت٢٤: ٣١) وحديثه عن **سلطانه فى إرسال الروح القدس** "إن مضيتُ أرسله إليكم" (يو ١٦). من هذه الشهادات وتصريحات السيد المسيح وغيرها كثير يبين قدرته على كل شئ.

ثانياً - أعمال المسيح تدل على قدرته على كل شئ:

١- ولادة المسيح من عذراء بدون رجل معجزة لم ولن تتكرر فى تاريخ العالم وفى الخروج على نظام التناسل الطبيعى (مت١: ١٨؛ لو١: ٣٤).

٢- سلطانه على الماء وتحويله إلى خمر فى عرس قانا الجليل، وتحويله إلى جسر يمشى عليه وجعل تلميذه بطرس يمشى عليه! (يو ٢، مت١٤).

٣- إظهار سلطانه على الرياح فأسكتها وهدأها بأمره (مت٨: ٢٦).

٤- سلطانه على أسماك البحر إذ أمر بتجمّعها على جانب سفينة بطرس الأيمن، وفى أمره للسمكة التى ابتلعت الاستار (العملة) أن تخرج فى صنارة تلميذه بطرس (يو٢١: ٦؛ مت١٧: ٢٧).

٥- تسلطه على مملكة النبات: فلما لعن شجرة التين غير المثمرة جفَّت فى الحال من أُصولها (مر١١: ١٢، ٢١).

٦- سلطانه وقدرته على شفاء جميع الأمراض المستعصية والعاهات بلمسة أو بكلمة منه (مت٨: ١٦،١٧؛ ١٤: ٣٦).

٧- سلطانه على إخراج الشياطين والأرواح الشريرة وإرسالها إلى الجحيم (لو٨: ٣١).

٨- سلطانه على الخطية فغفرها ولم يتدنس بها وأعطى رسله سلطة غفرانها (مر٢: ١٠؛ يو٢٠: ٢٣).

٩- سلطانه على القلوب إذ كان يُعلِّم ويتكلم بسلطان.. وشهد عنه خدام رؤساء الكهنة "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يو٧: ٤٦)، فأسر الملايين الذين أحبوه وعبدوه وضحّوا بحياتهم من أجله، لا عن طريق الإرهاب والسيف والحرب، ولكن عن طريق الحب واحترام العقل والإرادة والإيمان الصحيح والفضيلة.

١٠ – استطاع أن يخلِّص ويجدّد حياة أشر الخطاة مثل زكا واللص والسامرية والمجدلية وأغسطينوس وموسى الأسود وملايين الملايين من الخطاة والزناة والملحدين والسكيرين حتى الآن.

١١– أظهر سلطانه على التاريخ فشطره إلى نصفين، فصار ما قبله قبل الميلاد وما بعده بعد الميلاد.

١٢– أظهر المسيح سلطانه على الطبيعة والخليقة وأنه يموت باختياره على الصليب إذ أظلمت الشمس فى الظهيرة، والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وانشق حجاب الهيكل.. (مت٢٧: ٥١،٤٥).

١٣– أظهر رب المجد قدرته على الموت الذى أذل البشرية كلها منذ آدم إلى الآن، فأقام الموتى بكلمته وأمره (مت٩: ٢٥؛ لو١٥: ٧،١٤؛ يو١١). وقام هو نفسه من الموت بعد ثلاثة أيام بسلطانه كما سبق وأنبأ قائلاً: "انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أُقيمه" (يو٢: ١٩).

١٤– أظهر الرب يسوع قدرته على المادة فدخل والأبواب مغلقة (يو٢٠: ١٩).

١٥– أظهر السيد المسيح قدرته على ناموس الرؤية فكان يظهر أو يختفى متى شاء (لو٤: ٣٠؛ يو٢١).

١٦– أظهر المسيح سلطانه على قانون الجاذبية بصعوده إلى السماء (أع١: ٩).

١٧– أظهر المسيح سلطانه فى إرسال الروح القدس فى يوم الخمسين كما وعد رسله (أع١: ٥؛ ٢: ١).

١٨– أعلن سلطانه فى إنهاء العالم وانقضاء هذا الدهر بمجيئه الثانى (مت٢٤، ٢٩؛ ٢بط٣: ١٠).

١٩– أعلن المسيح سلطانه وقدرته على المجيء ثانية على سحاب السماء فى مجد أبيه محاطاً بملايين الملائكة والقديسين لتجثو له كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (مت٢٤: ٣٠؛ فيلبى٢: ٥–١١).

٢٠– وأعلن السيد المسيح سلطانه المطلق على دينونة العالم، الأحياء والأموات فى اليوم الأخير ومكافأته للأبرار والحكم على الأشرار وغير المؤمنين به

بالهلاك الأبـــدى فى جهنم مع إبـــليس وجنوده (يو٥: ٢٢؛ مت٢٥: ٣١؛ رؤ٢٠:

ثالثاً- شهادة البشر والشياطين بقدرة المسيح على كل شئ:

شهد الرسول بطرس أن المسيح "صعد إلى السماء **وملائكة وســلاطين وقــوات مخضعة له**" (١بط٣: ٢٢). وشهد الرسول بولس عنه أنه "بهاء مجد الله ورســم جوهره **وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته**" (عب١: ٢). وأيضاً أنه "جلس عن يمين الآب فى السماويات فوق كل رئاسة وقوة وسيادة وكل اسم يُســمّى ليس فى هذا الدهر فقط بل وفى المستقبل أيضاً وأخضع كل شئ تحت قــدميه" (أف١: ٢٠). كما قال عنه أنه "سيغير شكل جسد تواضعنا (الترابى) ليصير على صورة جسد مجده **حسب عمل اســتطاعته أن يُخضع لنفســه كل شــئ**" (فى٣: ٢١). "وأننا جميعاً سنقف أمام كرسى المسيح لنعطى حساباً" (رو١٤: ١٠). **وتوســلت إليه الشياطين إلاَّ يأمرها بالذهاب إلى الهاوية** (الجحيم) وإلا يعذبها قبل يوم الدينونة واستأذنت منه أن يسمح لها بالدخول فى قطيع الخنازير فأذن لها (لو٨: ٣١).

رابعاً- شهادة العهد القديم بقدرة المسيح على كل شئ:

- قال أشعياء النبى عنه: "وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشــيراً **إلهاً قديراً**.." (أش٩: ٦).

- وقال عنه أيضاً: "**هوذا بزجرته ينّشف البحر**" (أش٥٠: ٢).

- وقال عن معجزات شــفائه "**حــينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم ويقــفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس**" (أش٣٥: ٥).

- "الجالس على كرة الأرض وســكانها كالجندب.. الذى يُخرج بـــعدد جندها (نجومها) يدعو كلها بأسماء. **لكثرة القوة وكونه شــديد القــدرة لا يُفقــد أحــد** (أش٤٠: ٢٢-٢٦).

- "التفتوا إلىّ واخلصوا ياجميع أقـــــاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر" (أش٤٥: ٢٢)

- "أنا هو. أنا الأول أنا الآخر ويدىَّ أسست الأرض ويمينى نشــرت الســموات"

(أش٤٨: ١٢).

- "يهوذا شبل أسد.. جثا وربض كأسد من ينهضه" (تك٤٩: ٩).

- "أنا رئيس جند الرب" (يش٥: ١٤).

-"فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن أسمي وهو عجيب.. فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأننا رأينا الله" (قض١٣: ١٨-٢٢).

- "**الرب القدير الجبار هو ملك المجد**" (مز٢٤: ٨).

- "**كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**" (مز٤٥؛ عب ١: ٨).

- "**مَن صعد إلى السموات ونزل. مَن جمع الريح فى حفنتيه مَن صرّ المياه فى ثوب. مَن ثبت جميع أطراف الأرض. ما اسمه وما اسم ابنه**" (أم٣٠: ٤).

- "ها أنا ناظر أربعة رجال يتمشون فى وسط النار وما بهم ضرر **ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة**" (دا٣: ٢٥).

- "وإذا مع سحاب السماء **مثل ابن إنسان.. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**" (دا٧: ١٣، ١٤).

خامساً - شهادة القرآن:

ذكر القرآن عن السيد المسيح أنه عمل معجزات إلهية فقال مثلاً:

١- أنه كلمة الله وروح الله (آل عمران ٤٥، النساء ١٧١).

٢- أنه يكون "وجيهاً فى الدنيا والآخرة". أى شفيعاً قديراً.

٣- وأنه يكلم الناس فى المهد (آل عمران ٤٦).

٤- وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيصير طيراً.

٥- وأنه يشفى الأمراض "وأُبرئُ الأكمة والأبرص" (آلعمران ٤٦).

٦- وأنه يقيم الموتى "وأُحيى الموتى" (آل عمران ٤٩).

٧- وقدرته على معرفة الغيب "وأُنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم".

٨- وصعود المسيح إلى السماء (آل عمران٥٥، والنساء ١٥٨).

يضاف إلى ذلك الأحاديث النبوية - التى تعتبر المصدر الثانى للتشريع فى الإسلام بعد القرآن- وقد جاء بها مثلاً قول أبى هريرة نقلاً عن محمد أنه قال:

"مامن مولود إمرأة يولد حتى ينخصه الشيطان فيستهل صارخاً، إلاّ المسيح عيسى بن مريم" وأن جاءه الشيطان ليطعنه فطُعن فى الحجاب". وأنه لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ... ألخ.

ومع أننا كمسيحيين لا نؤمن أصلاً لا بالقرآن ولا بالسنة ولا بالحديث إلا أن هدفنا من الأشارة إليها هو للفت نظر القارئ العزيز إلى أن الإسلام نسب للسيد المسيح هذه الصفات والأعمال الإلهية كالقدرة على الخلق وشفاء المرضى وإقامة الموتى ومعرفة الغيب، ولم ينسبها إلى محمد نبى الإسلام نفسه!

الفصل الخامس

القداسة والعصمة

قداسة المسيح الكاملة وعصمته من الخطية

تظهر قداسة السيد المسيح الكاملة وعصمته من شهادات الملائكة والبشر والشياطين له، وشهادته هو عن نفسه وشهادة سيرته وأعماله.

فمن شهادة الملائكة:

عندما بشَّر الملاك جبرائيل القديسة العذراء بميلاده قال لها: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلىّ تظللك فلذلك أيضاً **القدوس المولود منك يُدعى ابن الله**" (لو ١: ٣٥). وقال ملاك آخر للقديس يوسف عن العذراء القديسة مريم: "فستلد ابناً **وتدعو اسمه يسوع لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم**" (مت ١: ٢١).

ولا شك أن المخلّص من الخطية هو نفسه بلا خطية. وفى تسبحة السيرافيم للمسيح الرب نطقوا بالثلاثة تقديسات "قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملئ كل الأرض" (أش٦: ٣؛ يو١٢: ٤١؛ رؤ٤: ٨). وقال ملاك آخر ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (مت ١:٢٣) والله قدوس ومعصوم.

ومن شهادة البشر له:

وصفه دانيال النبى بأنه "**قدوس القدوسين**" (دا٩: ٢٤). وقال عنه الرسول بولس: "وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو ١: ٤). وقال أيضاً: "**لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شرّ ولا دنس قد أنفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات**" (عب٧:٢٦). وأيضاً "**لن تدع قدوسك يرى فساداً**" (أع١٣:٣٥). وقال عنه الرسول بطرس موجهاً أصبع الأتهام للأُمة اليهودية: "**أنتم أنكرتم القدوس البار** وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل" (أع٣:١٤). وفى صلاة الآباء الرسل مجتمعين قالوا: "لأنه بالحقيقة اجتمع

على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل" (أع٤: ٢٧).

ومن أقوال السيد المسيح عن نفسه:

"**هذا يقوله القدوس الحق** الذى له مفتاح داود الذى يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح" (رؤ٣: ٧).

والمعروف أن لقب "قدوس" لا يُطلق على البشر الخطاة الناقصين، ولكن يمكن أن يطلق لقب قديس فقط على المسيحى المعمد المولود من الروح القدس والممسوح بمسحة الروح فى سرّ الميرون المقدس، الذى تبرر بالإيمان بدم المسيح وتقدس بالروح القدس ويسلك بالقداسة العملية. وفى هذا الصدد يقول المفديون فى السماء فى ترتيلتهم: "عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين **مَن لا يخافك يا رب ويمجد أسمك لأنك وحدك قدوس** لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك" (رؤ١٥: ٣)

بل أن الشياطين أيضاً اعترفت بأن المسيح قدوس

فلما أخرج روح نجس من إنسان بالمجمع صرخ الشيطان قائلاً: "آه ما لنا ولك يايسوع الناصرى. أتيت لتهلكنا. **أنا أعرفك مَن أنت قدوس الله**" (مر١: ٢٤؛ انظر أيضاً حادثاً آخر مماثل فى لو٤: ٣٤).

أن القداسة هى أعلى مستوى من النقاوة والطهارة والصلاح والتخصيص لله. السيد المسيح قدوس كامل بلا خطية وبار ومعصوم من الخطية. وقد قيل عنه أنه "**لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر**" (١بط٢: ٢٢). كما قيل عنه بأنه: "**لم يعرف خطية**" (٢كو٥: ٢١). فهو بطبيعته الإلهية القدسية مُنزَّه عن الشر والخطية ولا يستطيع أن يخطى. وهو له المجد الذى تحدّى أعداءه يوماً بقوله: "**مَن منكم يُبكتنى على خطية**" (يو٨: ٤٦). وبينما يقول الكتاب: "ليس باراً ليس ولا واحد.. وليس مَن يعمل صلاحاً.. والكل زاغوا معاً وفسدوا" (مز١٤: ٣؛ ٥٣: ٣؛ رو٣: ١٢)، وبينما يقول السيد المسيح: "ليس أحد صالحاً إلاَّ واحد وهو الله" (مت١٩: ١٧). إذا بالمسيح يصف نفسه بالصلاح ويقول: "أنا هو الراعى

الصالح" (يو ١٠: ١١)، ويقول أنه: "النصيب الصالح" (لو ١٠: ٤٢).

ومن هذا كله يتبين أن السيد المسيح هو الإله القدوس الكُلى الصلاح والبار المعصوم من الخطية والنقص. وأنه منفرد بهذه الصفة الإلهية، القدوس والذى تسبحه الملائكة بالقول: "لأنك أنت وحدك قدوس" (رؤيا ١٥: ٤).

الفصل السادس

الحياة الذاتية

الله وحده هو الذى له حياة ذاتية أى أنه لا يستمد حياته من كائن آخر. فالبشر والملائكة والحيوان والنبات، أى كل الكائنات الحية- ليس لها حياة فى ذاتها ولكنها تستمد حياتها من الله مصدر الحياة.

أمّا السيد المسيح فهو الشخص الوحيد الذى له حياة ذاتية حسبما قرر هو نفسه: "كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيى كذلك الإبن أيضاً يُحيى مَن يشاء.. "**لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة فى ذاته**" (يو ٥: ٢٦). وأثبت هذا بقوله: "انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أُقيمه" (يو ٢: ١٩). وقام فعلا بنفسه وبسلطانه الإلهى فى الموعد الذى حدَّده.

ومن هذا القبيل أيضاً قوله: "لأنى أضع نفسى لآخذها، ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً" (يو ١٠: ١٦).

والحياة الذاتية دليل قاطع على أن المسيح هو الله مصدر الحياة ومانحها ولذلك يقول الإنجيل عنه: "**فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس**" (يو ١: ٤)، وقال له المجد عن ذاته عدَّة مرات ما لا يجسر أحد أن يقوله: "**أنا هو القيامة والحياة**"(يو ١١: ٢٥) و "**أنا هو الطريق والحق والحياة**" (يو ٦: ١٤)، و"**أنا هو خبز الحياة**" (يو ٦: ٤٨، ٣٥)، "**وأما أنا فقد أتيت لتكون لكم حياة وليكون لهم أفضل**" (يو ١٠: ١٠).

ومن أجل ذلك تنشد الكنيسة فى صلواتها وتسبحتها للسيد المسيح بقولها: "قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحيى الذى لا يموت".

الفصل السابع

عدم التغيُّر

من المعروف أن صفة عدم التغيُّر هى صفة إلهية فالله وحـــده هو الأزلى الأبدى الذى لا يتغير أبداً فى جوهره ولا فى صفاته ولا فى مبادئه الأدبية ولا فى أى شئ آخر، فهو لا يزيد ولا ينقص، ولا يضعف ولا يموت ولا يتغير فى محبته أو رحمته أو قدرته أو حكمته أو قداسته أو معرفته.

أما الإنسان فيولد طفلاً صغيراً ضعيفاً جاهلاً ثم يتغير فيكبر كثيرا وينمو ويتعلم ويمرض ويذبـــل جماله ويتشـــوَّه ويموت ويرجع جســـده إلى التراب. ويتغيَّر الإنســـان أيضاً كثيراً ويتلوَّن حســـب الظروف فى رغبـــاته وأهوائه وعواطفه وأفكاره وأخلاقه ومزاجه..ألخ.

أما السيد المسيح له المجد فهو لا يتغير أبداً وقد وصفه الإنجيل بقوله: "**يســـوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" (عب١٣:٨). كما قـــيل عنه أنه: "**ليس عنده تغيير ولا ظل دوران**" (يع١:١٧). فهو عمانوئيل الذى تفســـيره "الله معنا" (أش٧:١٤؛ مت١:٢٣). والذى قال: "أنا معكم كل الأيام وإلى إنقـــضاء الدهر" (مت٢٨:٢٠). أنه هو "صخر الدهور" القـــوى الثابـــت الدائم "والصخرة كانت المسيح" (١كو١٠:٤). أنه لا ينقص أبـــداً فى محبـــته اللانهائية ولا فى قـــدرته الخلاصية غير المحدودة ولا فى قداسته الإلهية الكاملة وحكمته ورحـــمته وفى جميع كمالاته الأدبـــية الأخرى. أنه الواحـــد مع الآب فى الجوهر (يو١٠:٣٠) و"صورة الله غير المنظور" (كو١:١٥).

أنه هو الذى نصلى له فى القـــداس الغريغورى قـــائلين: "أيها الكائن الذى كان، الدائم إلى الأبد، الذاتى والمســـاوى والجليس والخالق الشـــريك مع الآب.. أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست وشابهتنا فى كل شـــئ ما خلا الخطية وحـــدها.. الذى لا يُنطق به، غير المرئى، غير المحـــوى، غير المبـــتدئ، الأبـــدى، غير الزمنى، الذى لا يُحـــدّ، غير المفحـــوص، **غير المتغير**، خالق الكل، مخلص الجميع".

الفصل الثامن

المسيح الآتى من السماء

المسيح السماوى

قديماً تنبأ الحكيم سليمان فى سفر الأمثال فقال متسائلاً: "مَن **صعدَ إلى السموات ونزل**. مَن جمع الريح فى حـــــفنتيه. مَن صرَّ المياه فى ثوب. مَن ثبَّت جميع أطراف الأرض. **ما اسمه واسم أبنه إن عرفت؟**" (أم ٣٠: ٤).

فى هذه التساؤلات ذكر سليمان بعض الصفات والأعمال الإلهية التى لله ولابـــن الله وأولها أنه نزل من السماء وصعد إليها.

وقد أجاب السيد المسيح له المجد على هذه الأسئلة بقوله لنيقوديموس: "ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذى نزل من السماء ابن الإنســـان الذى هو فى الســـماء" (يو٣: ١٣). وأجاب عملياً على السؤالين الثانى والثالث بخصوص الريح والمياه بـــإظهار ســـلطانه المطلق عليهما فى انتهار الريح والعاصفة وأمواج البحـــر الهائجة فأسكتها وهدأها (مت٨: ٢٦). كما أجاب له المجد على باقى الأسئلة بأنه هو الخالق الذى "به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو ١: ٣) وأنه هو ابن الله الذى دعى نفسه ابن الإنسان ليشير إلى تجسده الإلهى ومحبته العجيبـــة للبشر الذى نزل من السماء لفدائهم وخلاصهم. وانه بـــعد اتمام الفداء والخلاص صعد إلى السماء ثانية من حيث جاء. هذا وقد أعلن الكتاب المقدس أن المســـيح سماوى كما يبين من الأمثلة والشواهد الآتية:

أولاً- أمثلة من العهد القديم:

١- آية سليمان السالف الإشارة إليها "**مَن صعد إلى السموات ونزل؟.. ما اســـم ابنه؟**" (أم ٣٠: ٤).

٢- فى نبـــوات أشـــعياء "أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر. ويدىّ أســـست الأرض ويمينى نشرت الســـموات.. منذ وجوده أنا هناك والآن الســـيد الرب أرســـلنى

وروحه" (أش٤٨: ١٢). عندما يقول "منذ وجوده" (يشير إلى الآب) ويقول "أنا هناك"، وعندما يقول "والآن السيد الرب أرسلنى" يشير إلى إرساليته فى النزول من السماء والتجسد لصنع الفداء. وعندما يقول الابن "والآن السيد الرب أرسلنى وروحه" يشير إلى أنه مرسل من الآب والروح القدس. أن هذه الآية هى صياغة أخرى لشرح الملاك جبرائيل للعذراء "الروح القدس يحل عليك وقوة العلىّ تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥).

٣- ويناجى أشعياء النبى المسيح مخلّص العالم بقوله: "ليتك تشق السموات وتنزل. من حضرتك تتزلزل الجبال" (أش٦٤: ١).

٤- ويتحدث داود النبى عن صعود المسيح إلى مجده السماوى الأصلى بعد إخلاء ذاته من مجده فى التجسد واكماله الخلاص بقوله: "**ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد**. من هو هذا ملك المجد. الرب القدير الجبار.. رب الجنود هو ملك المجد" (مز ٢٤: ٧).

٥- ويقول داود أيضاً بروح النبوة: "**صعدت إلى العلاء**. سبيت سبياً قبلت عطايا بين الناس" (مز٦٨: ١٨). ويشرح الرسول بولس هذه النبوة بقوله أن الذى صعد هو الذى نزل (أف٤: ٨).

٦- **من المعروف أن جميع المواد والمعادن والسوائل والأقمشة والألوان المستعملة فى خيمة الاجتماع وفى هيكل سليمان تشير بطريقة رمزية عجيبة إلى الرب يسوع المسيح له المجد فى صفاته الإلهية وطبيعته وعمله الفدائى.** ومن بين هذه، التى تتعلق بموضوعنا الحالى، "**الذهب**" الذى يشير إلى لاهوته أو ألوهيته وبره الإلهى. **وأيضاً اللون "الاسمانجونى" أى الأزرق وهى كلمة فارسية مكونة من مقطعين تعنى "لون السماء". وهى تشير إلى أن المسيح سماوى فى طبيعته وأنه جاء من السماء.** وكذلك اللون الأرجوانى Purple وهو مزيج من الأزرق والأحمر أى أن هذا الملك السماوى سفك دمه (الأحمر) على الصليب وأن اللون الأزرق اتحد مع اللون الأحمر أى لاهوته لم يفارق ناسوته (خر٢٥: ١- ٩).

٧- وفى سفر دانيال نبوة قوية وظاهرة كالشمس إذ رآه هذا النبى آتياً فى سحب

السماء: "كنت أرى فى رؤى الليل **وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان** أتى وجاء إلى القديم الأيام فأُعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دا٧:١٣). وقد أشار رب المجد إلى هذه النبوة وفسرّها فى رده على رئيس الكهنة أثناء المحاكمات حين قال له: "من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء" (مت٢٦:٦٤).

ثانياً- فى العهد الجديد:

أكد العهد الجديد بصورة أقوى وأوضح أن المسيح سماوى بمعنى أن طبيعته سماوية إلهية، وأنه تجسَّد ونزل من السماء، وأنه صعد إلى السماء بعد صلبه وقيامته، وأنه يملأ السموات والأرض. **ويستفاد ذلك من الأقوال والأعمال التالية:**

١- قال السيد المسيح لليهود: "أنتم من أسفل. **أمَّا أنا فمن فوق**. أنتم من هذا العالم أمَّا أنا فلست من هذا العالم" (يو٨:٢٣).

٢- قال له المجد: "**ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء**" (يو٣:١٣). ويلاحظ فى هذه الآية أنه يذكر نزوله من السماء وصعوده إلى السماء، وأنه وهو يكلم نيقوديموس على الأرض موجود فى السماء! وغنى عن البيان أنه لا أحد يستطيع أن يقول أنه فى السماء والأرض إلاّ الله. وقد اثبت صدق دعواه بمعجزاته وكماله الأدبى.

٣- شهد يوحنا المعمدان عن المسيح قائلاً: "**الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع... الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع**" (يو٣:٣١).

٤- قال الرب يسوع له المجد لنثنائيل: "الحق الحق أقول لكم **من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان**" (يو١:٥١). وكان يشير هنا إلى "سلم يعقوب" المذكور فى تكوين ٢٨ الذى رأسه فى السماء ويصل إلى الأرض والرب على رأس السلّم والملائكة صاعدة ونازلة عليه ويشير إلى تجسُّد المسيح وأنه هو الطريق الوحيد للسماء (يو١٤:٦). والطريق

الوحيد إلى الآب وأنه هو المصالح بين الآب السماوى والإنسان.

٥- أختتم البشير مرقس بشارته بالقول: "**ثم أن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء** وجلس عن يمين الله" (مر ١٦: ١٩).

٦- واختتم البشير لوقا إنجيله بالقول: "وفيما هو يباركهم انفرد عنهم **وأصعدَ إلى السماء**" (لو ٢٤: ٥١).

٧- وقال الرب يسوع فى نهاية إنجيل متى: "**دُفِعَ إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض**" (مت٢٨: ١٨).

٨- عندما استحلف رئيس الكهنة السيد المسيح أثناء محاكمته "هل أنت المسيح ابن الله؟" قال له يسوع أنت قلت. **وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً على يمين القوة وآتياً على سحاب السماء**" (مت٢٦: ٦٤) وكان الرب يلفت نظره إلى نبوة دانيال عنه الواردة فى (دا ٧: ١٣)، والتى كان يجب عليه كرئيس كهنة أن يفهمها ويحفظها).

٩- قال السيد المسيح: "أنا هو الخبز الحيى **الذى نزل من السماء**" (يو ٦: ٤١) وكرر عبارة "نزلت من السماء" فى (يوحنا٦: ٣٣).

١٠- وقال أيضاً له المجد: "**خرجت من عند الآب وأتيت إلى العالم. وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب**" (يو ١٦: ٢٨). وأكَّد نفس الكلام والمعنى فى (يو ١٦: ٢٧؛ ٨: ٤٢).

١١- وصف سفر أعمال الرسل صعود المسيح إلى السماء وشهادة الملاكين عن صعوده ومجيئه الثانى بالقول: "**ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم**. وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان وقفا بهم بلباس أبيض وقالا أيها الرجال الجليليون. **أن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء**" (أع١: ٩).

١٢- قال الرب يسوع المسيح للص التائب على الصليب: "**اليوم تكون معى فى الفردوس**" (لو٢٣: ٤٣). وقد أدخل المسيح هذا اللص الذى آمن به على الصليب إلى الفردوس أى السماء الثالثة بسلطانه الإلهى على السماء (٢كو ١٢: ٢).

١٣- بعد صعود المسيح بفترة ظهر مرتين من السماء ظهورين مجيدين:

أولهما كان للشماس استفانوس وهو يحتضر أثناء رجمه بالحجارة فقال: "**ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.** وقال أيها الرب يسوع أقبل روحى" (أع٧:٥٦).

والمرة الثانية ظهر لشاول الطرسوسى فى طريق دمشق وسط نور عظيم أفضل من لمعان الشمس وسمع صوته من وسط النور السماوى الباهر الذى أعماه يقول له: "شاول شاول لماذا تضطهدنى. صعب عليك أن ترفس مناخس.. أنا يسوع الذى أنت تضطهده" (أع٩:٣؛ ٢٦:١٣) وتوالت ظهوراته له من السماء فى أع ١٨:٩ ومناسبات أخرى).

١٤- قال السيد المسيح أيضاً عن مجيئه الثانى من السماء للدينونة فى نهاية العالم "وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع **وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء (أى الصليب) وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير..**" (مت٢٤:٢٩- ٣١).

١٥- يتحدث العهد الجديد عن مركز المسيح السماوى المرتفع فوق الكل فيقول: **أن المسيح قام من الأموات وجلس عن يمين الآب فى السماويات "فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل** أيضاً وأخضع كل شئ تحت قدميه" (أف١:٢٠- ٢٢).

ويقول أيضاً أنه "**ستجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض**" (فيلبى٢:١٠). أى ستسجد له الملائكة والبشر الأحياء والأموات والشياطين أيضاً. وقد وصفه كاتب الرسالة إلى العبرانيين بأنه "قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة **وصار أعلى من السموات** ومِن ثَمَ يقدر أن يُخلِّص إلى التمام" (عب٧:٢٥) ويقول عنه الرسول بطرس: "**إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له**" (١بط٣:٢٢).

ويقول عنه الرسول يوحنا فى رؤياه: "**هوذا يأتى على السحاب وستنظره كل عين..**" (رؤ١:٧).

شهادة قرآن المسلمين

ولا حاجة بنا للقول بأن قرآن المسلمين يشهد بصعود المسيح للسماء، وإقامته بها حياً، فيقول: "يا عيسى بن مريم إنى متوفيك **ورافعك إلىّ** ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة" (سورة آل عمران: ٥٥). وكرر ذلك فى سورة النساء ١٥٧ بقوله: "**وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه**".

الفصل التاسع

كمال المسيح المطلق

"كل مَن صار كاملاً يكون مثل مُعلِّمه" (لو٦: ٤٠)

معروف أن الكمال نوعان هما:

(١) الكمال المطلق.

(٢) والكمال النسبى.

أما الكمال المطلق فهو لله وحده. بمعنى أن الله كامل فى كل شئ، كامل فى صفاته وأعماله، كامل فى قدرته، وكامل فى علمه وحكمته، وفى قداسته ومحبته ورحمته وعدالته.. ألخ.

وأما الكمال النسبى فهو الكمال الإنسانى أى بالقياس بالزمن الذى يعيش فيه الإنسان أو المكان أو بالمقارنة بغيره مِن البشر. فمثلا قيل عن نوح أنه "كان رجلاً **باراً كاملاً فى أجياله**" (تك٦: ٩) أى أنه كان كاملاً بالنسبة لأجياله.

وبنفس المعنى وصفَ كل مِن يعقوب وأيوب أنهما كاملين (تك٢٥: ٢٧؛ أى١: ١). ولا يعنى وصف كل من نوح ويعقوب وأيوب بالكمال النسبى أنهم كانوا بلا خطية أو بلا عيب، فقد ذكر الكتاب لكل منهم خطايا أو أخطاء وعيوب بشرية. ولكن المقصود أنهم كانوا أفضل الموجودين فى عصورهم بالمقارنة بزمانهم ومكانهم وشعوبهم.

وهذا الكمال المطلق نفسه نراه فى المسيح ابن الله الحيى الذى قال عن نفسه "أنا والآب واحد" (يو١٠: ٣٠) وأن "الذى رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩). وقد وصفه الرسول بولس بأنه "صورة الله غير المنظور" (كو١: ١٥) وبأنه "**بهاء مجد الله ورسم جوهره** وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب١: ٢). وشهد له الآب السماوى مرتين بقوله: "**هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت**" (مت٣: ١٧). وقد شهدت حياته الأدبية الرفيعة بهذا الكمال وبأنه لم يعمل خطية ولم يوجد فى فمه غش، بل وبأنه لم يعرف خطية.

أما عن قداسة المسيح الكاملة

فقد شهد بها الملائكة ورؤساء الملائكة والسيرافيم والشياطين والبشر، فهو قدوس بلا خطية ولا عيب، لم يخطئ فى حياته لا بالفكر ولا بالقول ولا بالعمل وقد قال لأعدائه عن نفسه "**مَن منكم يبكتنى على خطية**" (يو ٨: ٤٦) فلم يجرؤ أحد أن ينسب له خطية واحدة! أنه لم يعتذر ولا مرة فى حياته ولم يسحب قط كلمة قالها، أو ندم على فعل أتاه. ولم تكن له زوجات ولا سرارى ولا جوارى ولم يحارب أو يعتدى على أحد لا بالفعل أو بالقول. كانت حياته أنصع من ثلوج قمم الجبال فى كمال قداسته، حتى قيل عنه "كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عب ٧: ٢٦).

وكان المسيح كاملاً فى قدرته

فوصف أنه "**القادر على كل شئ**" (رؤ ١: ٨) وبأنه "**إله قدير** أب أبدى رئيس السلام" (أش ٩: ٦). وقد تحدثنا عن قدرته الإلهية الكاملة على كل شئ وأشرنا إلى قدرته على الخلق وعلى إقامة الموتى، وشفاء المرضى وإخراج الشياطين، واسكات الريح وموج البحر والعاصفة، والمشى على الماء، والصعود إلى السماء .. ألخ. وبهذا اتفقت أقواله وتصريحاته عن نفسه مع أعماله وشهادات الأنبياء له.

والمسيح كامل فى محبته

فأحب العالم كله بصورة فريدة لم تحدث من قبله. أحب الأصدقاء والأعداء وطلب الصفح والغفران لقاتليه وصالبيه ودافع عنهم وألتمس لهم العذر قائلاً: "اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٣٤). وقال: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يبذل أحد نفسه من أجل أحبائه" (يو ١٥: ١٣). لقد أحب الخطاة والضعفاء والفجار والضالين والمرذولين والمنبوذين والمرضى والجهال الأغنياء والفقراء على السواء من جميع الشعوب والأديان والألوان،

وهو الذى علَّم أروع تعاليم سمعتها أذن بشرية عن المحبة "أحبُّوا أعدائكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت٥: ٤٤). أن المسيح هو الحب مجسَّماً وهو انعكاس لمحبة الله الكاملة مجسَّدة فى شخصه.

المسيح كامل فى عدله

فهو الديان العادل الذى سيدين المسكونة بالعدل فى اليوم الأخير وهو ديان الأحياء والأموات (يو٥: ٢٢؛ مت٢٥: ٣١؛ رؤ٢٠: ١١).

وهو كامل فى رحمته

فهو الذى رحم المرأة الزانية التى أُمسكت فى ذات الفعل ودافع عنها وحرَّرها (يو٨: ١) ورحم اللص التائب على الصليب وسامحه وأدخله الفردوس (لو٢٣: ٤٣) وقد غفر للمرأة الخاطئة والمفلوج (مر٢: ٥؛ لو٧: ٤٨). ومريم المجدلية وزكا العشار (لو١٨: ١٩) وهو الذى رحم الخليقة كلها بفدائه لها وأعطى ولا يزال يعطى الخلاص الكامل والغفران مجانا لكل من يؤمن به.

والمسيح كامل فى علمه وفى حكمته

يعرف كل شئ فى السماء والأرض، ويعرف الأفكار والأسرار وخفايا القلوب والنيَّات، كما أنه يعرف الماضى والحاضر والمستقبل. أنه أقنوم الحكمة وهو عقل الله وحكمته وكلمته. وهو المكتوب عنه "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم" (كو٢: ٣) وغنى عن البيان أنه كامل فى تواضعه ووداعته وصبره وحلمه ولطفه وحزمه. أن الرب يسوع المسيح له المجد هو الكامل الصفات والفضائل كمالاً مطلقاً هو الكمال الإلهى.. كمال الله.

ولا عجب فى ذلك فهو الله الظاهر فى الجسد لأجل خلاصنا والذى أرانا كمال الله المطلق فى شخصه، وطالبنا أن نكون كاملين مثله (مت٥: ٤٨؛ لو٦: ٤٠).

الدليل السادس

أعمال المسيح الإلهية

من أجل متابعة سياق البحث، نلتمس الرجوع إلى مقدمة الكتاب حيث أوردنا فى المقدمة عناصر الموضوع وقلنا أن أدلة ألوهية المسيح الرئيسية هى:

(١) النبوات.

(٢) إعلان المسيح عن ألوهيته وتحقق النبوات فيه.

(٣) مركز المسيح المرتفع فوق الملائكة والأنبياء.

(٤) أسماء المسيح وألقابه الإلهية.

(٥) صفات المسيح الإلهية.

(٦) أعمال المسيح الإلهية.

(٧) إكرام المسيح الإلهى.

ونتابع الآن الدليل السادس فى أعمال المسيح الإلهية. وتتلخص هذه الأعمال الإلهية فى:

١- الخلق.
٢- العناية.
٣- غفران الخطايا.
٤- الخلاص.
٥- الشفاء.
٦- القيامة.
٧- الدينونة.

والمقصود بالأعمال الإلهية، تلك الأعمال القاصرة على الله وحده، والتى لا يمكن أن يقوم بها إنسان ولا يجوز أن تُنسب إلى مخلوق وإنما هى أعمال الله التى ينفرد بها وحده. وسوف نرى فى هذا الدليل أن هذه الأعمال الإلهية هى نفسها التى عملها السيد المسيح له المجد والتى ادعاها لنفسه أى مارسها قولاً وفعلاً. الأمر الذى لم يعمله أحد سواه أو نسبه لنفسه سواء كان إنساناً أو ملاكاً.

الفصل الأول

من أعمال المسيح الإلهية

(١) عمل الخلق

الله هو الخالق الوحيد

إن عمل الخلق هو عمل إلهى بحت، فلا خالق إلاّ الله. ولا يستطيع غير الله أن يخلق مطلقاً. ولا يجوز أن ينسب عمل الخلق لمخلوق أياً كان سواء أكان ملاكاً أو نبياً. والخلق يعنى إيجاد شئ من العدم، وإنما عمل الإنسان يُسمَّى صنعاً وليس خلقاً. بمعنى أن الإنسان يستطيع أن يصنع ما يشاء من مادة مخلوقة وموجودة فعلاً سبق أن خلقها الله، ولكنه لا يستطيع أن يخلق شيئاً من العدم، ولو كان شعرة واحدة بيضاء أو سوداء.

وتقول أول آية فى الكتاب المقدس كله "**فى البدء خلق الله السموات والأرض**" (تك ١:١) ويقول الاصحاح الأول من سفر التكوين أيضاً "**فخلق الله الإنسان** على صورته" (تك ١:٢٧). وفى قصة الطوفان نقرأ "فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته" (تك ٦:٧). وما أكثر آيات الكتاب التى تتحدث عن الله وحده كخالق مثل: "أمَا عرفت أم لم تسمع. إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكلّ ولا يعيا.." (أش ٤٠:٢٨). "هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض.." (أش ٤٢:٥). "لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيرى. أنا الرب وليس آخر مصوّر النور وخالق الظلمة" (أش ٤٥:٦). "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خَلقتَ كل الأشياء وهى بإرادتك كائنة وخُلقت" (رؤ ٤:١١). ولذلك يصلى داود النبى قائلاً: "قلباً نقياً أخلق فىّ يا الله" (مز ٥١:١٠)، ويوصى الحكيم سليمان "أُذكر خالقك فى أيام شبابك" (جا ١٢:١).

المسيح هو الوحيد الخالق

لم ينسب الكتاب المقدس عمل الخلق لشخص آخر غير الله إلاَّ للمسيح، مما يثبت أن المسيح هو الله الذى لا خالق سواه. وإليكم الأدلة الكتابية على أن المسيح خالق سواء من آيات العهد القديم أو العهد الجديد أو من أعمال المسيح.

أولاً- شهادة العهد القديم بأن المسيح خالق:

(١) جاء فى سفر الأمثال عن المسيح بروح النبوة "منذ الأزل مُسحت. منذ البدء. منذ أوائل الأرض.. مِن قبل أن تقررت الجبال.. لما ثبَّت السموات كنت هناك أنا.. لما وضع (الرب) للبحر حدَّه فلا تتعدى المياه تخمه. لما رسمَ أُسس الأرض. **كنت عنده صانعاً**" (أم٨: ٢٢-٣٠). وفى ترجمة الكاثوليك "كنت عنده مهندساً" أى واضع تصميم الخليقة قبل أن توجد.

(٢) "مَن صعدَ إلى السموات ونزل. مَن جمع الريح فى حفنتيه. مَن صرَّ المياه فى ثوبٍ. **مَن ثبَّت جميع أطراف الأرض**. ما اسمه **وما اسم ابنه** إن عرفت" (أم٣٠: ٤).

(٣) وقال داود النبى "**بكلمةِ الرب** صُنِعَت السموات. وبنسمة فيه كل جنودها" (مز٣٣: ٦). وفى هذه الآية نرى عمل الثالوث الأقدس فى الخلق "الكلمة" أى المسيح كلمة الله و"الرب" أى الله الآب. ونسمة فيه أو فمه أى الروح القدس.

ثانياً- أعمال المسيح كخالق:

(١) **من معجزات إشباع الجموع المتكررة يظهر عمل السيد المسيح كخالق، إذ خلق ألوف الخبزات والسمك من خمسة أرغفة وسمكتين**، فأكل نحو خمسة عشر ألف رجل وامرأة وطفل وفضل إثنتى عشر قفة مملوءة (مت١٤: ١٤؛ ١٥: ٣٣).

(٢) **فى معجزة المولود أعمى خلق الرب يسوع المسيح عينين جديدتين للرجل من الطين والماء كما سبق وخلق الإنسان فى الأصل** وبذلك خلق له عينين بكامل أجهزتهما من شرايين وأوردة وعدسات وأعصاب بصرية متصلة بالمخ،

وأبصر الرجل لأول مرة فى حياته وسجد للمسيح كابن الله (يوحنا٩).

(٣) **فى عرس قانا الجليل قام السيد المسيح بعمل معجزة تحويل الماء إلى خمر**. وهذا يتضمن أعمال خلق إلهية عجيبة، لأنه مِن أينَ أتت عناصر الكحول ومكونات الخمر حتى تغيّر شكل الماء ولونه وطعمه ورائحته، وبدون إضافة أى مواد إلى الماء! أن العملية التى يعملها الله فى الطبيعة فى سنوات تحت عوامل الشمس والضوء والحرارة والماء والهواء، ثم يساهم فيها الإنسان بالزراعة والفلاحة والحرث والرى والتقليم والعصير والتقطير..ألخ، قام بها الرب يسوع المسيح فى لحظات بإرادته وكلمته "املئوا الأجران ماء.. استقوا.. قدموا" (يو٢:١-١١). وبهذه المعجزة أثبت السيد المسيح أنه رب الطبيعة وخالقها، وأنه واضع قوانين الطبيعة، وأن له كامل السيطرة عليها، وأن الطبيعة والخليقة تخضع له وتطيعه.

(٤) وما أكثر **معجزات الشفاء التى قام بها المسيح** وتتضمن فى حقيقتها ليس مجرد علاج بل خلق مثل شفاء المجنون الأعمى الأخرس الذى أُصيب فى مخّه وأعصابه وهذه العاهات كلها تسمّى بالأمراض المستعصية ولا يمكن أن تعالج أو تشفى وإنما يلزم لها خلق خلايا وأنسجة وأعصاب وشرايين جديدة تحتاج إلى الله الخالق نفسه. وهذا ما عمله المسيح له المجد، ولذلك نؤمن أنه هو الله. وعندما طلب منه تلميذه فيلبس قائلاً: "يا سيد أرنا الآب وكفانا" أجابه يسوع: "أنا معكم زماناً هذه مدته يا فيلبس ولم تعرفنى. الذى رآنى فقد رأى الآب... وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها" (يو١٤:٨-١١).

(٥) وهذا ينطبق من باب أولى على **معجزات إقامة الموتى**. فلما أقام المسيح لعازر من الموت بعد أربعة أيام كان مخه ومعظم أعضاء وأجهزة جسمه قد ماتت وتحللت وتعفنت وفاحت رائحتها حتى أن مرثا أخته قالت: "يا سيد قد انتن" (يو١١:٣٩). ومعنى إقامة مثل هذا الميت أنه خلق له أعضاء وأجهزة ومخ وأعصاب وأنسجة وقلب ورئتين. أنه خلق إنساناً جديداً.

ثالثاً- آيات العهد الجديد التى تشهد للمسيح كخالق:

وما أكثر آيات الكتاب المقدس فى العهد الجديد التى تشهد للسيد المسيح بأنه الخالق، وأهمها:

(١) يفتتح الرسول يوحنا إنجيله "فى البدءِ كانَ الكلمة والكلمة كانَ عند الله وكان الكلمة الله.. **كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان**" (يو ١: ١-٣). وفى هذه الآية يبين أن المسيح كلمة الله هو خالق كل الأشياء، وأنه بدونه لم تكن هناك أية خليقة. أى أنه حتى الملحدين الذين ينكرون وجود الله هم من خليقة المسيح ، وأن المسلمين واليهود والبوذيين الذين لا يعترفون بربوبية المسيح هم أيضاً من خليقته وهم لا يدرون! وفى هذا الخصوص يقول إنجيل يوحنا: "كان فى العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم".

(٢) يتحدث الوحى الإلهى على فم الرسول بولس عن المسيح فى رسالة كولوسى فيقول: "الذى هو صورة الله غير المنظور بكر (أى أصل) كل خليقة. **فأنه فيه خُلقَ الكل ما فى السموات وما على الأرضِ ما يُرىَ وما لا يُرىَ.. الكل به وله قد خُلقَ**" (كو ١: ١٥).

(٣) "**الله خالق الجميع بيسوع المسيح**" (أفسس ٣: ٩).

(٤) "**ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به**" (١كو ٨: ٦).

(٥) "الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة **فى ابنه.. الذى به عمل العالمين**" (عب ١: ١).

رابعاً- قرآن المسلمين يعترف للمسيح بعمل الخلق:

لعله من باب التزيّد والمعلومات العامة نضيف أن قرآن المسلمين أيضاً شهد واعترف للسيد المسيح بعمل الخلق الإلهى فقال: "انى قد جئتكم بآية من ربكم **أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً** بإذن الله" (سورة آل عمران ٤٩). وأما عبارة "بإذن الله" فهى كلمة لا وجود لها فى قاموس المسيح ولم ينطق بها أبداً. ولم تُذكر ولا مرة واحدة عنه فى الأناجيل الأربعة ولا فى

العهد الجديد كله، وهذا أمر طبيعى واضح لأن المسيح هو الله نفسه والله لا يقول "بإذن الله" ولكن بإذنى. ولذلك رأينا فى معجزات المسيح كلها أنه لم يقل أبداً "بإذن الله" ولا "إن شاء الله" ولا "بأمر الله" ولكنه كان يأمر الموت والمرض والبحر والشياطين بكلمته فيكون... ومن هذا القبيل قوله للشاب الميت ابن أرملة نايين "أيها الشاب لك أقول قم" (لو ٧: ١٤).

فهل نصدق الإنجيل المقدس الذى سجل أعمال المسيح وأقواله الإلهية فى وقتها أم قرآن المسلمين الذى ظهر بعد المسيح بأكثر من ٦٥٠ ستمائة وخمسين سنة؟!!

والأمر المهم والجوهرى هنا أن القرآن شهد للمسيح وأقرَّ وأعترف بأنه قام بخلق كائنات حيَّة وعمل الخلق هو عمل إلهى. وأمَّا الكلمة العجيبة التى أضافها بعد إقراره بمعجزات الخلق وإقامة الموتى وشفاء المرضى وهى "بإذن الله" فهى عبارة غريبة، ليست فقط غير مقبولة، ولكنها لا تقلل من قيمة الخلق كعمل إلهى لأنها تنطوى على خطأ لاهوتى لا يغيب عن أى دارس وهو أن الله لا يتنازل عن صفاته وأعماله الإلهية للبشر ولا يأذن لهم بالقيام باعماله بالنيابة عنه. والمعروف أن الاسلام تأثر بالنساطرة وهم هراطقة ولذلك قيل أنه بدعة نسطورية ظهرت فى هيئة دين ينكر لاهوت المسيح.